

مجلـــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــة محكّمـــة

فصليــّــة

تصــدر عن كليــة الآداب

العــدد: الواحد والسبعون

السنة: السابعة والأَربعون

الموصـــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

توجـــه المراســـلات باســـم رئيـــس هيئـــة التحـــرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الواحد والسبعون	السنة: السابعة والأربعون

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار.
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول.
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــات

رؤية [(١)] المستشرق الأسباني أنغيل بلَنثيا في التراث الموريسكي(١)

أ.م.د. فارس عزيز حمودي*

تأريخ التقديم:٢٠١٢/٩/٢٧   تأريخ القبول:٢٠١٢/١١/٧

حياة بِلنثيا وأعماله:

ولد أنغيل جونثالث بِلَنثيا " في قرية هوركاخو في مدينة سنتياغو[٢] من أعمال مقاطعة (كوينكا) في سبتمبر عام ١٨٨٩؛ وفقا لبيانات شهادة الميلاد المودَّعة في قسم المحفوظات Nacional 2؛ في هوركاخو، الساعة العاشرة من صباح يوم ٤ سبتمبر ١٨٨٩م.

وقد " رغبت أسرة بلنثيا أولا بأن يدرس اللاهوت، لكنْ وبسبب الصعوبات المالية التي عانت منها الأسرة فقد تخلى عن ذلك؛ وانتقل مع والدته إلى مدريد؛ حيث التحق طالباً غيرَ نظاميٍّ بجامعتِها؛ فحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٠٨ وهو في سن التاسعة عشر، لاقى بدايةً صعوباتٍ في دراسة العربية؛ لكنه استطاع أخيرا التمكن منها، وتخصَّص في الفلسفة والآداب. ثم عُين في هيئة أمناء المحفوظات والآثار بمدينة طليلطة "[(٣)].

(١) آثر الباحث اختيار لفظ (رؤية) في عنوان البحث لكونه يعكس انطباعات المستشرق بلنثيا ونقوده للأدب الموريسكي، ولا يقتصر الأمر على تعداد جهوده أو وصف ما كتبه بخصوصه ذلك الأدب. والعمل هنا ذو نزوع نقدي أكثر منه إحصائي.

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(٢) سنتياغو دي كومبوستيلا Santiago de Compostela إحدى بلديات مقاطعة كرونيا، وتقع في شمال غرب أسبانيا في منطقة جيليقا.

(3) La personalidad y la obra de Don Angel González-Palencia 1889-1949). Burilo Fernando en el marco del arabismoespañol de la época. ArabeIslam Program DE Docentro:Centro de lectura: Filosfiail Y. pp. 215 – 217.

تعرَّف في كلية الآداب / جامعة مدريد بالأستاذ **أسين بلاثيوس**[1] خلال العام الدراسي ١٩٠٩ . ١٩١٠، وانعقدت بينهما صلةُ حميمة. وبمساعدة الأخير نُقل من طليطلة إلى مدريد لإدارة المحفوظات التاريخية الوطنية.

" حصل في عام ١٩١٤ على منحة للدراسة في الرباط (المغرب)، وكان ذلك أول اتصال حيٍّ له بالعالم الإسلامي.

كانت علاقته بـ بلاثيوس وثيقة؛ فكتب عنه بعد مماته كتيبا يعرِّف بجهوده وبسيرته الذاتية(٢) "، ويسميه **المعلم**. وهو مَن شجَّعه على خوض غمار البحث في الأدب الموريسكي؛ بعد دراساته الموسَّعة عن ابن عربي(٣).

ولقد تحدث بلنثيا عن سيرته الذاتية وعن أحواله الشخصية التي مرَّ بها في سني دراسته الأولى؛ موضحا علاقته بالعالِم بلاثيوس؛ وذلك في تأبينٍ له ألقاه في الأكاديمية الأسبانية الملكية في دورة حزيران ١٩٤٤(٤).

---

(١) آسين بلاثيوس: من كبار المستشرقين الأسبان (١٨٧١- ١٩٤٤). وهو من رجال الدين. كان عضواً في الأكاديمية الأسبانية، وأستاذ اللغة العربية بجامعة مدريد. له مؤلفات عدة عن الثقافة العربية في أسبانيا، اشتهر منها كتابه عن "تأثير الإسلام في الكوميديا الإلهية" لـ دانتي، وله دراسات مفصلة عن محيي الدين ابن عربي، وابن حزم، والغزالي، ونشر عدداً من النصوص العربية القديمة.

(2) ينظر: publicado en la rivista arbor, numeros Engel Gonzalez Palencia 4.5. julio.octuber. 1944 leido en la real academia espanola en la sesion del dia 18 de october 1944

(3) Arabes murcianos ilustres. Publicaciones de la Academia Alfonso x. Engel Gonzalez Palencia. Pp. 13.

(4) Necrologías: Don Miguel Asín Palacios (1871-1944), en Arbor, 4-5, 1944, pág. 179 y as.(Discurso leído en la Real Academia Española en la sesión del LS de octubre de 1944).

نال بِلَنثيا شهادةَ الدكتوراه من جامعة مدريد في عام ١٩١٥ على رسالته: (تحقيق كتاب تقويم الذهن لأبي الصلط الداني) [١] " وتوالت عليه بعد ذلك العضوياتُ التشريفية: فانتُخب عام ١٩٣٠ عضواً في الأكاديمية الملكية للتاريخ، وألقى في ٣١ مايو عام ١٩٣١ محاضرة استهلالية بعنوان: (تأثير الحضارة العربية)، وقد أعيد طبعها فيما بعد تحت عنوان: «الإسلام والغرب» El'Islamy Ocidente، في مدريد عام ١٩٣١.

وفي عام ١٩٤٠ انتخب عضواً في «الأكاديمية الأسبانية الملكية» وهي أعلى الأكاديميات في أسبانيا. وبعد وفاة بلاثيوس سنة ١٩٤٤، خلَفه بلنثيا مديراً لـ مدرسة الدراسات العربية في مدريد، والتي سُميت لاحقا باسم «معهد ميجيل آسين».

توفي بلنثيا وهو في الستين من عمره في حادث سير؛ يوم الأحد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩؛ أثناء نزهة مع بعض أصدقائه، ودفن في مدريد في الأول من نوفمبر "[٢].

كان إنتاج بلنثيا متنوعا متعدد الاهتمامات؛ يجمع بين العرض العام؛ كما في كتابه تاريخ أسبانيا الإسلامية؛ وكتاب تاريخ الأدب العربي في أسبانيا، وبين العرض السريع؛ كما هو الحال في المقالات والمحاضرات والبحوث التي نشرها خلال حياته العلمية.

وكان اهتمامه بالأدب العربي الفصيح يتماشى مع اهتمامه بالحكايات الشعبية باللغة العامية. وتوزع إنتاجه هذا بين الدراسات العربية، والدراسات الأسبانية الخالصة المتعلقة بالشخصيات الأسبانية في أواخر العصر الوسيط[٣].

وبالتعاون مع ألركون Elarcon نشر ملحقاً لنشرة كودير لكتاب «التكملة لابن الأبّار»، وفي عام ١٩١٦ عين أستاذاً مساعداً للغة العربية في كلية الآداب بجامعة مدريد، لكنه استمر يعمل في المحفوظات، يفهرسها ويكتب عنها خلاصات. إلا أن الكتاب الذي راج وحقق له شهرة واسعة كتابُه: **تاريخ الأدب العربي في أسبانيا** Istoria

---

(١) إن ما يراه العقيقي من كون الأطروحة تحقيق لكتاب تقويم الذهن لابن أبي السلط هي على الحقيقة دراسة تحليلية موسعة استغرت أكثر من نصف الكتاب. وهو عمل في غاية الدقة والعناية والأهمية ومطبوعة بحرف عربي بعناية وجمال. وعنوانها بالأسبانية:

RECTIFICACIÓN DE LA MENTE. T RATA I) D E L Ó G I C A. POI^ABUSALT DE DENIA

(٢) موسوعة المستشرقين. عبد ا لرحمن بدوي.ص ٧٢ – ٧٤. دار العلم للملايين. ط٣. ١٩٩٣.

(٣) م.ن.

de la literatura Arabigo - Espanola, Coleccion Labor Madrid 1928-1945. الذي ترجم طبعتَه الثانية الدكتور حسين مؤنس؛ تحت عنوان: تاريخ الفكر الاندلسي. وقد أورد د. عبد الرحمن بدوي اسما له تحت عنوان:

Historia de la literatura espanola. Barcelona, Labor, 1928

وهو أمر يوحي بأن له كتابا آخر في تاريخ الأدب العربي(١)؛ إلا أن الأمر غير ذلك.

اعتنى بلنثيا بتاريخ المستعربين الأسبان النصارى الذين اعتنقوا الإسلام في طليطلة(٢)؛ فأصدر عنهم كتاباً بعنوان: المستعربون في طليطلة إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

Los moza`rabes de Toledo en los siglos XIIyXIII (4 Vols. In-folio, 1926 – 1930). نشره له معهد دون خوان في بلنسية.

" وأصدر سنة ١٩٢٥ موجزاً لتاريخ أسبانيا الإسلامية (في ٢٢٨ ص): Historia de la Espana musulmana، وطبع طبعة ثانية سنة ١٩٢٩، وثالثة سنة ١٩٣٢.

وقام بتحقيق كتاب «إحصاء العلوم» للفارابي، مع ترجمة أسبانية. كما قام بترجمة «رسالة» حيّ بن يقظان لابن طفيل إلى الأسبانية، فجاءت ترجمتُه أفضل من الترجمة الأسبانية السابقة التي قام بها بونس بويجس Pons Boigues؛ لأنه اعتمد فيها على النص الجيد الذي حققه ليون جوتييه.

عنى بِلَنثيا بمدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية في طليطلة، وكان على رأسها عميد الأساقفة في طليطلة: ريمندو raimmundo، فصنَّف في هذا الموضوع كتاباً، بعنوان:

---

(١) موسوعة المستشرقين. ص ٧٢ – ٧٤.

(٢) طُليطُلَة: هكذا ضبطه الحميدي بضم الطاءين وفتح اللامين. مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، وهي على شاطىء نهر تاجه وبينها وبين قرطبة سبعة أيام.

أنظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الجزء الرابع ج٤. صفحة، ١١٦٩، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان

« رئيس الأساقفة ريمندو ومدرسة المترجمين في طليطلة » عام ١٩٤٢، ويقع في ٢١٠ ص). وصنَّف سيرة حياة جونثالوبيرث Gonzalo Pe`rez، سكرتير فيليب الثاني (سنة ١٩٤٦).

ولـ بلنثيا طائفة مِن مقالات مجموعة تحت عنوان: (دراسات تاريخية أدبية)، صدرت السلسلة الأولى منها تحت عنوان Historias y leyendas. ومن بين ما تشتمل عليه السلسلة الأولى:

- الفتاة التي اقتلعت عينيها (حول أسطورة سانتا لوثيا)
- سوابق إسلامية لأسطورة جارين Garin
- أثر الأسد
- كفى وهماً
- الغيور المخدوع
- الطبيب المسلم المتنصّر (الموريسكي) في القرن السادس عشر: رومان رميرث Roman Ramirez.

وجاءت السلسلة الثانية تحت عنوان: (المسلمون والنصارى في أسبانيا في العصور الوسطى) سنة ١٩٤٥؛ واشتملت على الدراسات التالية:

- الإسلام والغرب.
- آثار إسلامية في الأخلاق الأسبانية
- تعليقات حول ريمندو رئيس أساقفة طليطلة
- إحصاء العلوم. للفارابي
- طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.
- معلومات جديدة في سيرة جونثالو دي ثونيجا Gonzalo de Zuniga رئيس أساقفة جيان.

وله إلى جانب ذلك مقالات كثيرة في المجلات العلمية، تجد بيانها التفصيلي في مجلة al-Andalus سنة ١٩٤٩ ص XV-XX. "[١]

(١) موسوعة المستشرقين. ص. ٧٢ – ٧٤.

" وله كتيب: تراجم وأساطير. طبع في مدريد سنة ١٩٤٢. وله بحث: صورٌ اجتماعية من الأندلس سنة ١٩٤٦. وترجمات أسبانية لكتاب السندباد، والجدل حول الموسيقى والشعر العربي ١٩٤٦"(١).

ويبدو من تلك الكتابات والبحوث أن بلنثيا ركز جهده على استكشاف التراث الاندلسي والتراث الأسباني، وعنى عناية فائقة بالتراجم والسير.

كما له مجموعة بحوث طبعت في كُتيب تحت عنوان: أدب العرب الموريسك.ÁRABES MURCIANOS ILUSTRES لم نطَّلع على ذكرٍ له في المعاجم العربية المتخصصة في شؤون الاستشراق؛ وهو ذاته البحثُ الذي ألقاه في أكاديمية مدريد؛ أشاد فيه بجهود آسين بلاثيوس مطولا؛ قبل أن يتناول موضوعه ذاك.

ومن مواقف بَلنثيا المشهورة (لدى المشرقيين خصوصا والمعنيين بالأدب المقارن) موقفه من ملحمة دانتي وتأثُّرها بقصة الإسراء والمعراج، ثم علاقتها برسالة الغفران للمعري، جريا على ما أثبته المستشرق **بلاثيوس**. ولم يرد إيراد ما كتبه عنها في طبعة كتابه " تاريخ الفكر الاندلسي " الثانية؛ لأن الوضع قد تغير تماما؛ بعد أن عثر العلماءُ على الترجمتين اللاتينية والبروفنسية للنص العربي لقصة المعراج، التي تُعد الأساس الذي بنى عليه دانتي ملحمته؛ مما قد يغني عن المناقشة الطويلة؛ لكنه أبقى عليها لرغبته في أن يطلعَ القارئ على هذا المنهج العلمي البديع الذي سلكه بلاثيوس، والتي يُعد من أهم الكشوف الحديثة في ميدان الاستشراق(٢) وميدان الدراسات المقارنة، وقد أحال القارئ إلى المضان والكشوفات الجديدة لهذه القضية فضلا عما كتبه بلاثيوس(٣).

(٢) الموريسك وموقف المستشرقين الأسبان من قضيتهم

كان الطابع العام لجهود غالب المستشرقين والكتاب الأسبان في التراث الاندلسي ذا نزعة تحاملية مغيِّبة للحقيقة؛ ولها امتدادتها العنصرية والعقيدية، لكن – ومع

(١) المستشرقون. نجيب العقيقي. ج٢. ص ٢٠٢. ط٥ دار المعارف. ٢٠٠٦.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي. انغيل جنثالث بلنثيا.ص ٥٥١. ترجمة.حسين مؤنس.مكتبة الثقافة الدينية. د ت.

(٣) للتوسع في هذا الموضوع انظر: La Eseala de Mahoma, Tradnccion del arabe al catellano, latin y france, ordenda pro Alfonso X el Sabio. Edicion … pro Jose Munoz Sendio. Madrid, 1949.

انحسار المد الديني والعرقي نسبيا – ظهرت بحوثٌ ودراسات تتصف بالعلمية والحيادية؛ متجاوزة العُقد التي خضع لها قسم من الكتاب والمؤرخون والمستشرقون الأسبان؛ رافضة أن تبقى العقول معبأة بإرث تحاملي لا يستند إلى حقائق تاريخية؛ فتغيَّر قسم من المسارات البحثية نسبيا؛ ليصبح ألصق صلة بروح الحقيقة والبحث العلمي.

ويزخر الاستشراق الأسباني بجهودٍ لها دورٌ في نشر التراث الأندلسي وإحيائه؛ نظرا لصلة المستشرقين الأسبان الوثقى بذلك التراث؛ ولعلاقتهم القومية والثقافية به، هذا فضلا عمَّا توافر لديهم مِن مصادر ووثائق عن ذلك التراث المهيب؛ مِما سهَّل عليهم استكشافه ونشره.

وهذا – على الحقيقة – لا يعني أن كلَّ ما كتبَه أولئك المستشرقون أو الكُتاب على مستوى واحدٍ من الإنصاف والعلمية.

انصبَّت الجهود الحديثة على استكشافِ ذلك التراث وتحقيق نصوصه والدفاع عنه أحيانا؛ بعيدا عن النزوع السياسي ذي الصلة الدينية والعرقية، ومن هؤلاء المستشرق الكبير أنغيل پلَنثيا[١] Engel Gonzalez Palencia والمستشرق **آسين بلاثيوس**.

وللتعرف على الأدب المورسيكي نحتاج إلى بسط كلامٍ حول المورسيك Los Moriscos؛ لإلقاء الضوءَ على أحوالهم السياسية والتاريخية؛ كي تتهيأ لنا نافذةٌ نطل منها على جهود پلنثيا حول ما أنتجه المورسيك مِن معالم ثقافية وأدبية؛ لاسيما وقد تم تغييب قضيتهم، والتعتيم على دورهم التاريخي والثقافي والحضاري؛ بعد سقوط الأندلس؛ فتوَّهم البعضُ أنَّ عطاء تلك الحضارة الشامخة قد خبى تماما وتلاشى بعد سقوط غرناطة على الخصوص.

---

(١) پلنثيا Palencia بالأسبانية:

مقاطعة تقع في شمال غرب الدولة، تقع ضمن حدود منطقة قشتالة وليون.عاصمتها هي مدينة پلنثيا ، تتقسم المقاطعة إلى ١٩١ بلدية.

ظهر لفظ موريسيك – قيد الاستعمال – بعد مرسوم التنصير القهري الذي أصدره رئيس أساقفة خيمينز **ثيسنيروس** في سنة ١٥٠٢م وهم يتوزعون إلى ثلاث جماعات: مرسيكيو مملكة آرغون، وقشتالة، وأندلوثيا في غرناطة[١].

"وأصل كلمة موريسيك مأخوذ من اللفظة Maurus سكان جبال المغرب التي كانت باللاتينية: موريطانيا؛ فمنذ القديم أطلق الرومان كلمة (موريطانيا) على المغرب العربي، ثم أصبح الوافدون عليهم من هؤلاء يُسمون (بالمورس) مختصرا عن موريطانيا "(٢).

ويُذكر أيضا أن اللفظة صفةٌ من كلمة Moro وتطلق – في بعض النصوص الأسبانية – على عرب أسبانيا ومسلميها، لكن اللفظة في الأغلب اسم أُطلق على مَن بقي في الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة؛ على أيدي فرناندو وإزابيلا في سنة ١٤٩٢م. وعلى الذين هجّروا من الأندلس إلى بلدان وأقاليم عديدة[٣].

واستخدم في العصر الحديث مصطلح **مدجنين** بشكل يختلف نوعا ما عن لفظة **موريسيك**، إنه يشير إلى المجموعة البشرية ذات الأصل الإسلامي العربي؛ لكن مع اختلاف مهم؛ هو أن المدجنين مسلمون بصفة عامة؛ بينما كان الموريسيك مسيحيين (منصّرون) من الناحية الرسمية... فالمدجنون حالة سابقة على الموريسيك؛ بحيث يصعب فهم الموريسيك دون الإشارة إلى المدجنين في المجتمع الأسباني آنذاك. ولكن حوادث التهجير العام الذي حدث بعد قرار التهجير شمل – كما هو معلوم – الجميع: الموريسيك والمدجنين[٤] على السواء.

وهناك من يرى أن الموريسك: طرف أسباني انصهر فيه العنصر العربي بالعنصر الأوروبي؛ لذلك ليس في استطاعة أحد أن يأتي ببرهان قاطع على صفاء دم الأسبانيين الذين لم يشملهم قرار الطرد سنة ١٦٠٩م من العنصر المسلم بشتى أعراقه، كما لا

(١) المورسيكيون في الفكر التاريخي. ميغيل انخيل بونيس. ص ٢١. ترجمة وسام محمد جزر. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ٢٠٠٥.

(٢) قصة الجالية الأندلسية في المغرب. مجلة دعوة الحق. العدد ٢٠٥. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب. ١٩٨٠.

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي. ص ٥٥٧. مصدر سابق.

(٤) المورسيكيون في أسبانيا وفي المنفى. ميكل دي إيبالثيا. ترجمة جمال عبد الرحمن. ص ٥٩. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. ٢٠٠٥.

يستطيع أحدٌ أن يبتَّ بصفاء دم مَن طردوا من العنصر الإيبيري، وعليه فبعضُ المؤرخينَ يخطئون حينما يقدِّمون الموريسكيين على أنهم شعب عربي خالص بقي في أسبانيا أو هُجر منها[١]، لكنهم بالتأكيد طردوا بسبب انتمائهم الديني والعرقي.

وفي الموسوعة الإسلامية The Encyclopedia of Islam جرى تعريف الموريسيك على أنهم:

(أ) أولئك المسلمين الأسبان الذين وقعوا تحت درجات مختلفة من الإكراه والاضطهاد وتحولوا إلى المسيحية بين عام ١٤٩٩ و ١٥٢٦.

(ب) أو يُقصد بهم أحفادهم الذين استمروا في العيش في أسبانيا حتى تم جلاءهم منها ١٦٠٩-١٦١٤. ومنهم أيضا المسيحيون المتحولون. وفي بعض الأحيان ينطبق مصطلح المغاربة على اللاجئين بعد وصولهم إلى شمال أفريقيا والبلاد الإسلامية الأخرى، مستأنفين حياتهم على الدين الإسلامي، على الرغم من احتفاظهم – إلى حد ما – بهويتهم المميز "[٢].

والمستخلص من جملة ما ورد يدل على أن الموريسكيين على الأصح هم العرب / المسلمون المُنصرون؛ من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة؛ والذين عاشوا تحت الحكم الأسباني، بعدها بدأ المتزمت رئيسُ أساقفة خيمينز دي سيسنيروس برنامجَ التحويل؛ من خلال الترهيب والاضطهاد، والرشوة وتحويل مساجدهم إلى كنائس؛ والاقتراح بإخصائهم، ثم منعهم من الهجرة إلى جزر الهند آنذاك[٣].

وعلى الرغم من أنهم كانوا قد أُعطُوا قُبيل سقوط غرناطة عهودا بعدم إجبارهم على ترك دينهم، وأن يحافظوا على معتقداتهم وعاداتهم؛ إلا أن ذلك كله تم خرقه، وبدأت حملات اضطهادهم، لذلك تحولوا – وعلى وفق وثائق الأسبان أنفسهم – إلى شبه جماعات سرية لم تنسَ قط ما لحقها من تنكيلٍ[٤] وخرق للعهود مِن لدن الأسبان المنتصرين.

---

(١) محنة الموريسكوس في أسبانيا، محمد قشتيلو، مطبعة الشويخ، تطوان ١٩٨، ص. ١٧-١٨.

(٢) The Encyclopedia of Islam. second edition. Leiden brill 2000."MORISCOS", G.A. WIEGERSVol XII. Pp. 241.

(3)Daily Life During the Spanish. Inquisition. James M. Anderson. British Library Cataloguing. Copyright 2002. pP. 106-108

(4) Rebellon y castigo de los Moriscos de Granada B.A.E, tome XXI, Historiadoresde sucesos pariticulores. Luis de mamol. Pp. 157.

ولقد حافظت تلك الجماعات قبل طردها النهائي على معتقدها سرا؛ مستندة على فتاوى اتخذوها من مُفتينَ في بلاد المغرب؛ من مثل فتوى احمد بن جمعة سنة ١٥٠٤م؛ تبيِّن لهم كيفية التعامل مع مضطهديهم، وكيف يقيمون شعائرهم على وفق رُخص تبيحها المخاطر المحدقة بهم[١]؛ إبَّان محاكم التفتيش Inquisition سيئة الصيت.

ومع وصول الإمبراطور فيليب الثاني Filep II تغيَّر الموقف الدولي؛ إذ بدأ الأتراك والمسلمون شمال إفريقيا بالتعرض لغرب البحر المتوسط، خلال عقد الخمسينات، ومن هنا بدأ الأسبان ينظرون إلى الموريسك على أنهم جواسيس؛ يشكلون خطرا على الإمبراطورية الأسبانية؛ فصدر المزيد من مراسيم الاضطهاد ضدهم سنة ١٥٦٧م؛ مما حمل الموريسك على الثورة؛ التي سرَّعها الإلحاحُ المستمر للبابوية على ملوك الأسبان بتنفيذ الابادة العامة للمسلمين[٢]. متذرعا بـ " أن إرساء الوحدة الدينية في مملكة غرناطة تتم من خلال إخلائها من قاطنيها لاستحالة تحويل سلالة من المارقين – بحسب زعمه – إلى مسيحيين أخيار "[٣].

وانتهى الأمر أخيرا بإصدر فيليب الثالث سنة ١٦٠٩ قرار طردهم من أسبانيا؛ بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة في تحويلهم عن دينهم واعتناق المسيحية؛ ولكن دون جدوى، فاضطروا إلى مغادرة أراضيهم بعد أن مُنحوا مهلةً قصيرة؛ فازدحمت الطرقاتُ بهم، واشتد الإقبالُ على السفن المنطلقة من السواحل الأسبانية نحو شمال أفريقيا وغيرها. وشكَّلت المجموعة المهجرة سنة ١٦٠٩م الفوج الخامس؛ حيث سبقها الفوجُ الأول سنة ١٤٨٣م والثاني سنة ١٤٩٣م والثالث ١٥٠٢م والرابع ١٥٧١م[٤].

---

(١) وما يثبت هذا وثائق وجدت عن محاكم التفتيش منها وثيقتان إحداها في مكتبة الفتيكان. ولها عدة ترجمات في مدريد. أنظر ملحق كتاب:

الموريسكيون الاندلسيون والمسيحيون. المجابهة الجدلية. لوي كاردياك. ترجمة د. عبد ال القيمي. ص ٩٢. مطبوعات المجلة التاريخية. تونس. ١٩٨٣.

(٢) محنة العرب في الأندلس أسعد حومد.. ٢٠٦ – ٢٠٧. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط٢. بيروت. ١٩٨٨.

(٣) المورسيكيون في الفكر التاريخي. ص ١٢٢.

(٤) الموريسكيون في المغرب من خلال الدراسات الأسبانية. الدكتور نجيب الجباري. مجلة التاريخ. عدد ٥٨. ص ٣٢٧.

وينقسم المستشرقون من قضية الموريسكيين إلى فريقين: فريق يرى فيهم جوانب إيجابية في الحضارة العربية الإسلامية؛ كما بين ذلك **بلنثيا** نفسه عبر كتابه تاريخ الأدب الاندلسي. لكن الكتابات التاريخية بجملتها في القرون السابقة كانت – حذرة – من تقديم أي نقود ضد الكنيسة وممارساتها في تاريخ أسبانيا عامة؛ فكيف الحال مع قضية الموريسيك؛ تلك القضية الشائكة والجريمة التي ندر مثالها في التاريخ الإنساني. بل أن من الكُتاب مَن حاول على استحياء مسك العصا من الوسط بادعائه أن الحكومة الاسبانية ليست هي الوحيدة الملامة على المصير الموريسكيين كما عبر عن ذلك الكاردينال راشيلّو حيث: ((لا يمكننا على الرغم من ذلك إنكار أنهم قد جلبوا المصائب فوق رؤوسهم باستمرارهم سرا في اعتناق الإسلام والتآمر مرة تلوة الأخرى ضد بلادهم))[1]. وعلى هذا فهو يعد التمسك بالمعتقد مبررا الابادة أو الجلاء الشامل اللذين لحقا بهم.

ويتبين من الحوادث المأساوية التي لحقت بـ الموريسيك مدى الإخراس المتعمد الذي لحق قضيتهم وتراثهم الإنساني من جانب مضطهديهم، تماما كما لحقهم الإغفال من لدن الدراسات العربية قديمها وحديثها؛ غير كتبٍ وبحوثٍ كانت تصدر هنا وهنا.

نشطت في القرن العشرين الدراسات حول هذه القضية من لدن الطرفين العربي والأسباني؛ وخصوصا الجانب الأسباني؛ الذي راح يعيد حساباتَه ويحلِّل الوثائق والأخبار ويبيِّن عوامل الاضطهاد، ويكشف عن الأحوالِ والدوافعَ التي أدَّت إلى حدوث تلك الكارثة الإنسانية المسكوت عنها، بل راحوا يتتبعون تاريخ الموريسيك وأخبارهم؛ حتى بعد هجرتهم المأساوية إلى المغرب الأقصى؛ كما فعل ميغيل انغل في كتابه سابق الذكر: (الموريسكيون في الفكر التاريخي).

والسؤال المطروح هنا هو: لماذا يتخصص قسم من الباحثين الأسبان بالتاريخ العربي / الإسلامي بالأندلس؟ هل هو الشعور بالذنب، أم فضولٌ علمي استدعي العودة إلى الماضي؛ لاستذكار حقبة تاريخية مهمة لأسبانيا ؟ يجيبنا **غوتالبيس بوستو** في كتابه "الموريسكيون بالمغرب" على هذه التساؤلات قائلا – ما ذكر الدكتور نجيب الجباري - : " إن قراءة تاريخ ضفتي مضيق جبل طارق في القرن السادس عشر يدل

(١) الموريسكيون في الفكر التاريخي. ص ١١٣.

علـى أنَّ تاريخهمـا لا يمكـن فصـله، وعليـه فـإن دراسـة تـاريخ المغـرب العربـي مـن لـدن الباحثين الأسبان ليس من باب التعرف على الآخر، بل ضرورة للتعرف على الذات "(١).

وفضلا عما كتبه **بوستو** " هناك كتاب (تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية)، لـ **برنارد فينسينت**، وكتاب: (شتات أهل الأندلس): المهاجرون الأندلسيون"، لـ **مرثيديس غارثيا**[٢]؛ فضلا عن كتاب الموريسكيون في الفكر التاريخي. لـ **ميغيل انخيل بونيس،** تحتوي هذه الكتب على أخبار ووثائق وتحليلات ووجهات نظر في الكشف عن تراث الموريسك والحوادث التاريخية التي جرت فيهم، كما تكشف وبدرجات متفاوتة عن جانبٍ من نتاجات الموريسك الأدبية والثقافية.

هذا فضلا عن كتاب ضخم صدر في سنة ١٩٠١. للأسقف **دون باسكوال**(٣)، الذي قامت بترجمة الكتاب الأول من الجزء الأول منه الدكتورة كنزة الغالي، ويمتاز بتنوعه وبتوسعه التاريخي وتفصيلاته الكثيرة؛ التي لا يدركها إلا المتخصصون بالتاريخ الاندلسي.

وبغض النظر عمَّا في تلك الكتبِ والأبحاث من اختلافٍ في الرؤى ومستوى الموضوعية؛ وبمعزل عن قبولنا أو رضانا بما جاء فيها؛ فإنها تعطي إشارة إلى طور جديدٍ من عناية المفكرين الأسبان بقضيةٍ تُعد من أهم القضايا التاريخية والإنسانية.

لذلك لم تكن عناية **بلنثيا** بهذا الموضوع قد أتت جزافا أو انفرادا؛ لكن خصوصية عنايته تأتي من كونه مستعربا شهيرا وأكاديميا بارعا؛ له دراسات متنوعة متشعبة في مجالات علمية كثيرة. هذا فضلا عن اهتمامه الواسع والمبكر بتاريخ الأندلس وتراثها العربي الإسلامي.

ومما يستدعي التركيز على دراساته ليس تعاطفه مع التراث الاندلسي فحسب بل لشمولية دراساته ودقتها مع رصانة واضحة في منهجية بحثه، مع انه يلجأ فيها أحيانا

---

(١) الموريسكيون بالمغرب. من خلال الدراسات الأسبانية. الدكتور نجيب الجباري. مجلة التاريخ. عدد ٥٨. ص ٣٢٧.

(٢) تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية. ترجمة محمد فكري عبد السميع، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمن، ط. ١، ٢٠٠٦، المشروع القومي للترجمة، العدد ١٠٨٥

(٣) المورسيكيون الأسبان ووقائع طردهم. دون باسكوال. ص ٢١٧. ترجمة كنزة الغالي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ٢٠١٢.

إلى الاقتضاب والاختصار. لكن علمه بالعربية وتمكنه منها جعله يرى ما لا يراه كثيرون من بني جلدته؛ تعاطوا التعامل مع ذلك التراث.

(٣) رؤية پلنثيا في الأدب المورسيكي:

لـ پلنثيا كتابان تناول فيهما الأدب المورسيكي، الأول (تاريخ الأدب الاندلسي Historia de Literature Áabigo – Espanola) وهو كتاب ضخم تعرَّض فيه للتراث الاندلسي بعامة؛ ولم يقصره على الأدب بمفهومنا المعاصر؛ وقد ترجمه الدكتور حسين مؤنس تحت عنوان: تاريخ الفكر الاندلسي، وهو المصدر الأهم في معالجتنا لرؤية پلنثيا النقدية والتاريخية للأدب المورسيكي.

والثاني (الأدب المورسيكي العربي؛ Árabe Murciaos Ilustres) و**الذي هو عبارة عن بحوث ألقاها في جامعة مدريد سنة ١٩٢٩؛** ولم يُترجم إلى العربية.

وسوى هذين الكتابين لم يكن لـه كتاب تخصّص بالأدب الاندلسي عامة؛ والأدب المورسيكي على التحديد؛ إذ جل كتاباتِه فيه مبثوثة هنا وهناك.

وبخصوص عنوان الكتيب الثاني (الأدب المورسيكي العربي؛ Árabe Murciaos Ilustres) فأن پلنثيا عمد إلى إطلاق تسمية " الأدب المورسيكي العربي " تجنبا للخلط المتأتي من كون لفظة موريسك أطلقت أحيانا على اليهود المهجرين من الأندلس آنذاك أيضا؛ فاحتاط بالتخصيص دون التعميم.

لم يقسم پلنثيا بحوثَه إلى فصولٍ ومباحثَ؛ بل جاء كلاما مختصرا تحدث فيه عن نتاجات مختلفة انتخبها مِن هنا وهناك؛ دون ترتيب زمني واضح، وكانت بغيته في ذلك إسقاط الضوءَ بشكل سريع على ذلك الأدب. والأمر في الكُتيب هذا أشبه ما يكون محاضرات تعريفية بذلك الأدب.

وقد ابتدأ كلامَه فيه بالدعوةِ والتشجيعِ على دراسة الأدب الموريسكي والثقافة؛ مبينا أن هذه الجهود لا تصب في صالح الموريسك فحسب؛ بل في مصحلة الأسبان أنفسهم(١).

وقد أقرَّ پلنثيا مرارا بأنه استقى الكثير من معلوماته في مباحثه تلك عن أستاذه بلاثيوس؛ لاسيما فيما يخصَّ أسماءَ الأدباءِ والكتَّاب الموريسك وسيَرهم وإنجازات؛ على شتى العصور والأماكن؛ حيث أورد أسماءَ أكثر من مئتي شخصية موريسكية، وأعطى عنها خلفياتٍ وملاحظات تُغني عن عناء البحث في الكثير من المراجع الواسعة

---

(1) Arabes murcianos ilustres. Publicaciones de la Academia Alfonso x. Engel Gonzalez Palencia. Pp. 13.

الصعبة، وعنه تعلم تسلسلَ التاريخِ الزمني لأولئك الأدباء والكتاب الموريسيك في مجالات الفقه والعلوم الطبية والتصوف والأدب والعقائد والنحاة والشعراء والزهاد[١].

ودعا بلنثيا إلى تتبع هذا التراث اعتمادا على التخصص والمعرفة بالتاريخ الاندلسي، ومعرفة أسرار اللغة العربية التي تعرضت في تلك الفترات إلى تغيرات وتبدلات واسعة على أصعدة شتى؛ خصوصا وان الموريسيك كانوا على إطلاع بالثقافة المشرقية؛ نتيجة لرحلاتهم المستمرة نحو الشرق الإسلامي[٢]؛ وهذا يوحي برغبة بلَنثيا في جعل الأدب الموريسيكي معبِّرا نسبيا عن الشرق وكاشفا لروحه.

يبدأ بلنثيا بذكر أسماء وحياة العديد من أدباء الموريسيك؛ في شتى المجالات، مع تحليلات مبسطة لإعمالهم وتوجهاتهم.

والمطَّلع على مباحثه تلك يلمح أنها أشبه ببلوغرافيا تعريفية بأولئك الأشخاص الذي ذكرهم، وذكر انتماءاتهم وطبيعة أعمالهم؛ لذلك يُتميز عمله هذا عن كتاباته الأخرى حول أدب الموريسيك – وخصوصا كتابه تاريخ الأدب الاندلسي – بوفرة أسماء الكتاب والأدباء الموريسيك، ولو تمت ترجمة مباحثُه تلك لكانت سببا في تسهيل عمل الباحثين المشرقيين المتخصص في مجال التراث الاندلسي بعامة؛ والأدب الموريسيكي على الخصوص.

ولقد نشر بلنثيا دراسات في الأدب المقارن؛ منها: مقارنة بين قصة مغربية لكاتب موريسيكي مجهول؛ أو هي أندلسية الأصل؛ إلا أنها انتقلت إلى المغرب عن طريق اللاجئين الموريسيك، ثم تحولت إلى أدب شعبي يتناقله الناس هناك. غير أن ما يهم في هذا المقام محاولته إثبات الأصل المغاربي الموريسيكي لقصة سرفانتس: **الاسترمادوري الغيور**EL CELOSO ESTREMENO؛ فيتوصَّل إلى أن سرفانتيس قد يكون أطَّلع على الحكاية المغربية ووظفها في قصته[٣]؛ ويرد بلَنثيا على الإيطاليين

(1) Ibd: pP.14

(2) Ibd: pP.16

(٣) وجد الأستاذ إدريس عفارة من المغرب الشقيق نسخةً من بحث بلنثيا في إحدى المكتبات الاسبانية القديمة، وقام بترجمتها إلى العربية؛ ونشرها بجريدة الناطق المغربية / الدار البيضاء. ولقد قدم لي مشكورا نسخة من بحثه المترجم ذاك.

الذين زعموا أن سرفانتيس – في هذه القصة وغيرها – ينهل من مصادر إيطالية، ويفنِّد مزاعمَهم[١].

وعلى الرغم من أن بلنثيا عمل على عقد مقارنات بين قصة سرفانتس وقَصص أسباني وأندلسي وإيطالي قديم؛ إلا انه يُثبت في النهاية – على وفق أدلته – أنها مشتقة من القصة الشعبية المغربية[٢].

ومن تلك المقارنات تعرُّضه لقصة " حي ابن يقضان " التي يرى أنها انتقلت إلى فرنسا وما سواها عن طريقة ما كتبه عبد الله بن علي (الفرايلي انسليمو تورميدا). وهو أسباني نصراني ولد في ميُّورقا في منتصف القرن الرابع عشر، وانضم إلى طائفة الرهبان. ثم رحل إلى تونس واعتنق الإسلام، وتسمى بـ عبد الله بن علي. مارس الترجمة ثم ولاه أبو فارس عبد العزيز الحمصي مكوس تونس. وقد جلله أهل المغرب بهالةٍ من القداسة ولقَّبوه بـ بالترجمان المَيُّريقي. وذاع كتابه: **تحفة . الأريب في الرد على أهل الصليب:**

وله مجموعة من الكتب منها: " مجادلة الحمار" ألفه سنة ١٤١٧، نشره مرة بالقطلونية[٣] وأربعا بالفرنسية وواحدة بالألمانية. ويتحدث بلنثيا عن ذلك الكتاب قائلا:

هذا الكتاب عنوانه الكامل (مجادلة الحمار. للآب أنسيلودِ تورميدا) Disputa del asno contra fray Anselmo de Turmeda نشر في المجلة الأسبانية Revue Hispaniqueسنة ١٩١١ مجلد ٢٤. خرافة شائقة جدا تدور حول الحيوانات، وتوضع فيها مسألة امتياز الإنسان على العجماوات موضع المناقشة. ويجري الجدل في مجلس يتولى الحمار فيه نيابة عن أصناف الحيوانات، ويدحض الحجج التي يدلي بها تورميدا متحدثا باسم البشر. ويقول تورميدا بامتيازِ الإنسانِ على الحيوان، مستندا إلى جماله

(١) عثر الكاتب المغربي إدريس عفارة على تلك الدراسة وترجمها إلى العربية بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد بلنثيا (٠٤/٩/١٩٨٩) – (٣٠/١٠/١٩٤٩) والتي أقيم فيها ندوات وحفلات في أوركافودي سانتياغو بإقليم كوينكه؛ مسقط رأس المستعرب بلنثيا، ونشرها في الثاني من يناير ١٩٩١ بجريدة الناطق المغربية / الدار البيضاء.

(٢) م.ن.

(٣) القطلونية Catalan لغة أدبية غنية، كانت متداولة في منطقة قطلونية كلها، أي في الأجزاء الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة الإيبرية، وترتبط ببعض الوشائج مع اللغة البروفنسية Provençal المستخدمة في الجنوب الفرنسي. أنظر: الموسوعى العربية. صالح علماني. المجلد الثاني. ص ٣٧.

واتساق تركيبه وكمال حواشيه البدنية وقوة ذاكرته، وملكات البشر في الفنون والتجارة والحكومة، وقدرته على الاستمتاع بالألعاب والموسيقى. **ويُؤيَّد** كذلك بما شرع الله للإنسان من شرائع، وباغتذاء الإنسان بلحم الحيوان، وإنشائه الطوائف الدينية وما إلى ذلك.... وهذا الكتاب المشهور **إنْ** هو إلا ترجمة حرفية – في أحيان كثيرة – لفقرات من مجادلة الحيوان لبني آدم في رسائل إخوان الصفا "[١]. لكن بلنثيا لم يفصِّل في هذا الأمر، ولم يأتِ بإثبات قاطع، ونحن لا نملك دحض رأيه ولا إثباته دون الاطلاع عليه.

أما أهم دراسات بلنثيا الأخرى لأدب الموريسك فنجدها في كتابه: تاريخ الفكر الاندلسي Historia de Literature Áabigo – Espanola؛ الذي نشره سنة ١٩٢٨م، ثم قام بإعادة نشره في طبعة ثانية أسقط منها نصوصا كان أوردها في الطبعة الأولى؛ بدافع الاختصار، وقام بتعريب الطبعة الثانية الدكتور حسين مؤنس؛ الذي قام بإرجاع ما أسقطه بلنثيا؛ كلما دعت الحاجة التوضيحية إلى ذلك.

نجد في هذا الكتاب أن طابعَه الشمولُ والتنوع أحيانا؛ والاختصار أحيانا كثيرة، وهو وإن كان عنوانه بالأسبانية " تاريخ الأدب الاندلسي " غير أن كلمة أدب تعني في ثقافته ما كان يعنيه العرب القدامى تقريبا؛ أي ما ينتجه الجهد الثقافي والحضاري من شعر وقصص وأخبار وكتب وفلسفات وسِيَر.

أما عن القيمة العلمية لكتابِه هذا " فيكفي أن نذكرَ في هذا المقام محاولاتِ سابقيه في المضمار نفسه. وليس بين يدينا مصدرا استشراقيا مهما متخصصا في مجال الأدب الاندلسي خَلا كتاب المستشرق الهولندي **دوزي** (تاريخ المسلمين في الأندلس)، وكتاب **فون شاك** " (العربية في أسبانيا وصقلية) وهما المرجعان الرئيسيان لتاريخ الشعر العربي في الأندلس حتى نهاية العقد الثاني من القرن العشرين.

طُبع كتاب **دوزي** سنة ١٨٦١م؛ وتُرجم إلى الألمانية والإنكليزية والأسبانية، وصدرت له طبعة فرنسية مَزيدة ومنقحة؛ في ثلاث مجلدات. والكتاب يعالج التاريخ بصورة رئيسة؛ لكنه يعير عنايته بالشعر حتى نهاية القرن الثاني عشر.

" أما كتاب **شاك** فطبع في سنة ١٨٦٥م؛ وقد عنى بالشعر الاندلسي في غالب مراحله، وله ترجمة أسبانية مع إضافات للشاعر الأسباني خوان فاليرا. وكلا الكتابين مشبع بالنزعات الرومانسية التي كان المؤلفان واقعين تحت تأثيرها.

(١) تاريخ الفكر الاندلسي. ٥٨٧.

وعن هذين الكتابين اللذين لم يكن لهما منافس – مع شحة المصادر آنذاك – أخذ الكثير من المستشرقين مادتهم.

ومع توسع الدراسات الاستشراقية الأسبانية جاء كتاب پلنثيا ليعرض بصورة شاملة لغالب ما توصلت إليه الأبحاث الأسبانية التي يندر أن تقع في متناول الأكثرية من العلماء. وهو على الرغم من جنوحه إلى الاختصار إلا أنه يعطي – من حيث الوفرة العلمية – مستندا مأمونا لجميع المراحل"[(١)].

ويرى پلنثيا " أن آخرَ صورةٍ ظهر فيها أدب الاندلسيين هي آثارهم التي كتبوها باللغة الأسبانية، مستعملين في كتابتها الحروف العربية؛ والتي تسمى في المصطلح الأسباني بـ **الخَمْيادية**؛ أي المستعجمة، واللفظة تحريف أسباني لكلمة الأعجمية، وهو أمر يدل على حالة الرعب التي كان الموريسكيون – أصحاب هذه الكتابات – يعيشون تحت وطأته؛ خصوصا عندما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التنصير تتعقبهم ديوان محاكم التفتيش "[(٢)].

ولا نعرف الأسبابَ التي دعت پلنثيا إلى بدء الحديث عن تراث الموريسيك في الفترة التي تلت سقوط غرناطة، مع أنَّ وجودهم كان سابقا على ذلك، فقبل سقوط غرناطة كانت طبقة الموريسيك قد نشأت، هذا فضلا عن وجود أعدادٍ منهم كبيرة في أماكن كانت سقطت ومنذ زمن بعيد بيد النصارى. وهذا الأمر يوحي بأن پلنثيا يكاد يقصر وجود أو ظهور جماعة الموريسيك بسقوط غرناطة ذاته، وهذا أمر وان كان له صحة من حيث الكم والتمايز الذي ظهروا فيه؛ إلا انه لا يصح أن يأخذ طابعَ الشمول.

وما يجب ألا يغيب عن البال أنَّ المعلومات عن تلك الفترة عانت مِن الإخراس والكبت؛ بحيث ضاعت الكثير من الأخبار والحقائق بفعل غياب التدوين الاندلسي.

وما يعزز هذا الرأي بقاء شخصيات كثير استمرت في الإسهام بالحركة العلمية والثقافية " وإن كانت قد تخفَّتْ تحت مُسميات أخرى، أو أنها نجحت في التغلغل داخل المجتمع النصراني. وهناك معلومات عن اشتغال بعض الاندلسيين آنذاك بالتدريس، وظهور أسماء شخصيات اشتغلت بالكتابة والتأليف والترجمة والاستكشاف وغيرها من

(١) دراسات في تاريخ الأدب العربي، كراتشكوفسكي، مجموعة مترجمين، دار علوم ،(موسكو:١٩٦٥)، ص ١٤٩.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي. ص ٥٠٧.

الحقول التي لا نملك تفصيلات دقيقة عنها. ومثال ذلك حسن بن محمد الوزاز الذي كان يُعرف باسمه القشتالي **يوهان الإفريقي** الذي توفي سنة ١٥٥٢م "(١).

أما عن الأحرف الخميادية وتصور بلنثيا عنها؛ والقاضي بكونها مشتقة من لفظة أعجمية فهو – على الأرجح – افتراض؛ لم يبحث له عن سند تاريخي، أو ربما تركه لأجل الاختصار والاقتضاب؛ والاختصار فيه أمر مستبعد لأن له أهمية كبيرة.
ويذكر بلنثيا أن غالب إرث المورسيك قد اختفى وطمس نظرا لحركة الاضطهاد التي كانوا يعانون منها، لكن هذا الإرث بدأ يظهر هنا وهناك على شكل مخطوطات دفينة. وغالب نتاجات المورسيك آنذاك ذات موضوعات دينية أو تشريعية(٢).

ولنا أنْ نسأل: لمّا كان بلنثيا يقرُّ بذهاب غالب ذلك الإرث واختفائه؛ فلماذا إذن يغلّب كونه دينيا وتشريعيا. فكان الأصوب أن يقول: أن غالب ما وصلنا – وهو قليل قياسا بإرث الأندلس الزاهر – كان يتمحور حول قضايا دينية وتشريعية.

ومن أجلّ مؤلفي تلك الفترة الذين يبدأ بلَنثيا بذكرهم عيسى بن جابر؛ فقيه مسجد شقوبية، وكان اسمه يكتب Ica de Gebir وهو صاحب " الكتاب الشَّقوبي " وهو مختصر صغير في الأخلاق والتشريع. وقد وجدت مِن الكِتابِ نُسخا عديدة، وهو ما يدل على كثرة تداول المورسيكيين له في تلك الفترة من لدن(٣).

وكان الكتاب قد كتب بالقشتالية؛ لكن بأحرف عربية؛ أو ما كان يسمى بـ الأحرف الخميادية. مع جمع وخلط بين الصرف العربي والصرف القشتالي. وقد نشَر الكتابَ إدواردو سافادار بأحرف لاتينية؛ في مجلة الذاكرة التاريخية الأسبانية(٤). وللنظر في كيفية رسم الحروف باللغة الخميادية نذكر الاسم الكامل لكتاب عيسى بن جابر هذا برسمه الخميادي.
" **اللكْتَب شِجُبيَن بر بيَري سُنى ممِريل دِ لُش بر نشبَلِش مندَمْنيتشْ إدبدمينتش دِ نوِ شترِ شنتَ ليْ إسُن** ". ومما ورد فيها بعد نقله إلى اللاتينية:

---

(١) الاندلسيون المواركة. عادل سعيد بشتاو. دت. القاهرة. ص ١٥٧.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي. ص ٥٠٨.

(٣) م.ن.

(٤) Memorial Históica Espanol. Idwrdo silvodar. Tomo v. Madrid 1863. pp 149

(الله أكبر)	Allah ua aqbar
(سبحان ربى العظيم)	çubhana rabb! ilhadim
(سمع الله لمن حمده)	çemi allahu limen hamidehu
(اللهم ربنا ولك الحمد)	Allahume rabbane qual col hamdu

والمثير للأسى التساؤل التالي: ألهذا الحدِّ مِن الكبت عانى المورسيكيون؛ بحيث فقدوا الألوف من كتب أسلافهم؛ فاضطروا إلى عمل مختصرات مُرهقة؛ تشرح لهم أمور دينهم وعقيدتهم بلغة قشتالة ممزوجة بحروف عربية، مع تراكيب صرفية قشتالية ! إن هذا ليس دليلا على المنع والملاحقة فحسب؛ بل هو دليلٌ على المحو والتدمير الشامل ذلك التراث العظيم جملةً وتفصيلا.

ثم هناك تساؤل آخر مفاده: ماذا عن الفترات الأكثر قربا والتي كان المسلمون فيها يسمون بالمدجنين حتى سقوط غرناطة؛ التي دام وجودها زهاء قرنين ونصف إلى أن سقطت أخيرا سنة ١٤٩٢م. ؟ أو لنقل ماذا عن الفترات التي سبقت محاكمَ التفتيش، والإجهاز على ذلك التراث الضخم ؟ ونعني بها الزمن المبكرة مِن حياة المورسيك، وهو زمن كان فيها قسم من المسلمين – نظرا لكفاءاتهم الفنية والعمراني – يحيون حياة شبه مستقرة في المدن التي سقط بين الأسبان النصارى(١)، وكان اختلاطهم بالأسبان واسعا حتى أنه أثر على ديمومة عصبية الدولة(٢)، وكانوا قد أخذوا تعهدات بممارسة حياتهم؛ دون أن يتعرضهم لهم أحد بأذى(٣). ومع أن تلك التعهدات لم تدم طويلا وتم نقضها كعادة الأسبان، إلا أنها استمرت متقطعة في أماكن متفرقة.

(١) المسلمون المدجنون في الأندلس. حسين يوسف الدويدار. ص. ١٢٣. مطبعة الحسين الإسلامية. ط١. القاهرة؟ ١٩٩٣.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس. العصر الرابع: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين. محمد عنان. ص ١٩٩. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط٤. ١٩٩٧.

(٣) لطفي عبد البديع. الإسلام في أسبانيا. ص ١٦٧. ط ٢ ، مكتبة النهضة المصرية. ١٩٦٩م.

ولاشك أن الموريسيك الأوائل كانوا قريبي عهدٍ بثقافتهم ولغتهم العربية؛ فأين نتاجاتهم وأدبهم العربي ! هل يعقل أنهم نَسوا لغتَهم في غضون مئة عام أو مائتين!!

المرجح أنه تراث مطموس أو ضائع؛ بفعل شدة الاضطهاد؛ وإلا فلمَ لمْ يظهر مع ما ظهر من كتبٍ وتراثٍ للاندلسيين بعامة. ما سر ذلك الانقطاع المفاجئ ؟

نرجح أن سبب هذا التغييب هو تدمير ذلك التراث؛ وامتناع التدوين؛ لاسيما وان انحباس النشر وذهاب سطوة المسلمين قلل من استمرار شرارة إبداعهم، فعمَّ الجهل بدل العلم، ولغةُ السيفِ بدل لغة العلم والحضارة، هذا فضلا عما حصل في سنة ١٦٧١م؛ إذ شبت النار في الاوسكريال والتهمت الكنوز الفريدة، وكانت الحكومة الأسبانية أثناء تلك العصور تحرص على إخفاء الآثار الإسلامية عن القرَّاء؛ لخشيتها من تسرب روح التفكير الإسلامي إلى تفكير أسبانيا النصرانية"(١).

وتبقى الإجابات القاطعة على مجمل تلك التساؤلات مرتهنة بمعرفة معمقة بتاريخ تلك الحقب، ودراية راسخة باللغة الأسبانية القديمة، هذا فضلا عن معرفة وإطلاع بخزائن ما تبقى؛ وما تم الكشف عنه من تراثها.

انتخب بلنثيا في منهجه لدراسة الأدب الموريسكي عيِّنات من هنا وهناك، لا تربطها أحيانا إلا رابطة الهوية الموريسكية، وهو علم بوجود الكثير من ذلك الأدب إلا انه لم يحسن؛ أو على الأقل لم يستطيع قراءته برسمه؛ نظرا لكونه ممتزجا بلهجة قشتالية (الأسبانية القديمة)، بدليل اعتماده على ما تم نقله بالأحرف اللاتينية؛ وباعترافه المتكرر بذلك؛ لذلك نراه يقول عن مقدمة كتاب: آنف الذكر: " ولم أترجم هذه القطعة لان معناها ظاهر، ولأن أسلوبها ليس قشتاليا صحيحا، وإنما يضم تعبيرات تعسر على الترجمة الدقيقة "(٢). فكيف يقول أن معناها ظاهر، ويعسر على الفهم في آن واحد ! "(٣).

ثم أن بلنثيا عمد في كتابه على إيراد النص مطولا؛ لكن بلغةٍ أسبانية وبأحرف لاتينية، ونستنتج من هذا أن ما يستعرضه من نتاجات موريسكية، وما يذكره من شواهد – مكتوبة بالحرف العربي – إنما هي نصوص مأخوذة في الغالب مما تم نقله على أيدي المترجمين المحدثين.

(١) دولة الإسلام في الأندلس. مصدر سابق. ٥٠٥.

(٢) المصدر السابق. ص ٥٠٩.

(٣) المصدر السابق. ص ٥١٤

ثم ذكر بلنثيا نموذجا لكتاب آخر وهي رسالة الفقيه المالكي المسماة " كتاب التفريغ " (ألِكتَب دِلاتفْريه Alquiteb de Tafria)، وهو لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الجلاب المالكي. وذكر ما نصه: ولدينا منه نسختان مكتوبتان بالحرف العربي؛ لكنه لم يذكر أين هاتان النسختان، والأرجح أنه نقل هذه المعلومة عن بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي[١]. مع أنه ذكر في هامش حديثه إحالة للكتاب:

Cf: j: Ribera y M. ASIN op. cit. pp. 131-132.

لكنه على ما يبدو اكتفى بالنقل عن النسخة المكتوبة بالأحرف اللاتينية فحسب[٢].

لن نقفَ طويلا عند كتب المورسيك التي تدور حول موضوعات الدين والقراءات والعبادات والمواعظ وما إليها " إذ أن قيمتها الأدبية ضئيلة، مع أنها على جانب من الأهمية في التعرُّف على أحوالِهم وأوضاعهم وثقافتهم "[٣]. فالتراث بعامة نتاجٌ متواشج مع بعضه البعض إلا أن التركيز هنا على جانب منه ألا وهو النتاج الأدبي.

الشعر المورسيكي:

لا يتناول بلنثيا الشعر المورسيكي بحسب تراتب زمني؛ وإنما يتناول نماذج منه؛ مستشهدا بنتاجات متفرقة لشعراء مختلفين، ويلقي على ما كتبوه ملاحظاتٍ فيلولوجية، وتحليلات نقدية أغلبها ذا طابع تاريخي.

وكان المرسيكيون يصوغون أشعارهم في قوالب شعر ألاغاني الأسبانية المعروفة بالرومانثس Los Romanes التي كانت شائعة في ذلك العصر. لكن تلك الصيغ التي يتحدث عنها بلنثيا إنما كانت منتشرة في قشتالة؛ وهي لم تكن عامة لكل الأسبان. ثم أن الأسبان كانوا أيضا ينظمون أشعارهم على وفق البحور الإيطالية بشهادة بلنثيا نفسه.

ويستشهد على تلك الأوزان الرومانثيسية بمقطوعة لشاعر اسمه خوان ألفونسو هاجر إلى تطوان وشن من هناك حملة شعواء على النصرانية معرضا بمعتقداتها، وترجمتها:

– أيها الغراب الأسباني الملعون

– يا ناشر الوباء، أيها السجان البغيض

(١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣–١٩٩٩م تاريخ الأدب العربي. بروكلمان. ج١. ص ١٧٧.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي.. ص ٥١٦.

(٣) م.ن. ص ٥١٤.

– ها أنت تقف برؤوسك الثلاثة
– على أبواب الجحيم(١)

وإذا كان منهم من نظم أشعاره على وفق بحور الشعر الإيطالي، فإننا على الحقيقة لا نعرف أيٍّ من هذه البحور تحديدا.

يبدأ بلنثيا بتناول قصيدة طويلة لشاعر مجهول الاسم؛ من أهل أرغون، واسمها في كتب الأدب" أشعار يوسف " El Poema de Josė أو " حديث يوسف ". وهي منظومة على نمط من البحر القشتالي القديم، على شكل مقطوعات؛ كل أربعة أبيات منها على قافية معينة. والقصيدة تحكي قصة يوسف كما وردت في القرآن الكريم؛ مختلطة ببعض الأساطير الإسلامية. ولم يذكر بلنثيا نصها المرسوم بالأحرف العربية؛ بل نقل نصوصها المنقولة إلى الحرف اللاتيني(٢). وفيما يلي نموذجا لرسمها اللاتيني يعقبه ترجمة لمعناه:

Diólas ricos comeres é vinos esmerados,
Que iban hí todas agodas de dictados:
Diólas sendas toronjas é canniuete en las manos
Tajantes é apuestos é muy bien temperados

"Reutaban à Zalija las duennas del lugar
Porque con su cativo querìa voltariar;
Ella de que lo supo arte las fué á buscar
Convidolas á todas é llevolas a yantar

(١) المرجح أن المعني هنا بالرؤوس الثلاثة الاقانيم في اللاهوت النصراني.
(٢) م.ن.

ثم بعد هذا يورد للنص ترجمةً عربية؛ غير أنه لا يورد النص المكتوب بالحرف العربي؛ مع أنه المفروض يكثِّف اهتمامه بالرسم العربي؛ لينظر مدى العلاقة بين الرسمين؛ بوصفه ذا خبرةٍ ودراية بالرسم اللاتيني فضلا عن الرسم العربي الذي لديه.

- ولامت نساء الناحية زليخة
لأنها أرادت أن تلهو مع أسيرها
ولما علمت هي بذلك سعتْ
إلى أن تدعوهن كلهن إلى الطعام
- وقدمت إليهن أطعمة طيبة وخمرا منتقى
وذهبن جميعا إلى هنالك ليستمتعن بهذه الأشياء
وأعطت لكل منهن برتقالة وسكينا
قاطعا ومعدًّا ومسنونا سنا طيبا
- وذهبت زليخة إلى الموضع الذي كان فيه يوسف
وهيأته على أجمل صورة بملابس أرجوانية من الحرير
وزينته زينة بالغة بالجواهر
وأرسلته إلى النساء، سوط عذاب في يديها

ويرى پلنثيا: أن من أشهر شعراء الموريسيك محمد ربضَان، وأصله من الروظة Rueda. الذي نظم العديد من القصائد منها تاريخ حياة محمد عليه الصلاة والسلام. وكذلك قصة يوم الحساب التي صاغها شعرا. فضلا عن أنشودة شهور السنة.وقصيدة أسماء الله.

ثم هنالك الشاعر والرحالة حاج بوي مثنوي. وهو من مدينة قطلونية؛ نظم أشعارا باللغة القشتالية وبأحرف عربية عسيرة القراءة. يتكون كل مقطع منها من ثمانية أبيات؛ على شكل رباعيات؛ تعبر عن رحلةٍ قام بها الشاعرُ إلى المشرق في القرن السادس عشر الميلادي.

ويذكر أن هذه المقطوعات تفيض بالحماس والخيال الشعري؛ وتتكلم عن موضوعات مختلفة؛ مع انه – على ما يبدو – لم يستطع قراءة نصها الأصلي بل استعان بما نقله منها **مريانو دي رواتا** الذي ترجمها إلى الأسبانية اللاتينية في نهاية

القرن التاسع عشر ١٨٩٧[1]. وهذا يعني أن الاهتمام بتحول ذلك الأدب إلى الرسم اللاتيني قد جرى منذ فترات طويلة؛ إلا أن العناية بترجمتها إلى العربية أو دراستها كانت شبه معدومة.

ونص هذا الشعر ورد بالرسم العربي بحسب ما نقله بلنثيا[2]. يتكلم الشاعر فيها عن يوم الحشر، وأهوال القيامة، وعن رحلته، وما شاهده في المشرق؛ بعد زيارته لمصر والمدينة ومكة المكرمة. وهذا نموذج منه يرينا مدى الصعوبة الفعلية في فهمه:

" إمَش مل كا ألي إشت ء البَلء آدُنْداشا
غِنِ رء امشْ كا ألي تدشْ كُن
غرن مل جُنت ما نتانش
بارامِش دُندا تُدُش لورا
مُش نواشترَشْ ملْتشْ
إرءِ ارُّ راش لُش كا الله نشَار
بِرامُشْ كاهَرامش باقَدُرَاش

وترجمتها:

- ثم إنه هناك يوجد الوادي
- حيث بحسب ما نقرأ في الكتب:
- سنكون هناك جميعا في ضيق عظيم
- وسيرى بعضنا بعضا متجاورين
- هناك سنبكي جميعا
- لذنوبنا وأخطائنا
- ونحن الذين لم نقم بواجب الله
- ماذا نفعل نحن الخاطئين
- هناك رجال ونساء
- ستحشرون معا جميعا

(١) المرجح أن المعني هنا بالرؤوس الثلاثة الاقانيم في اللاهوت النصراني. ص ٥٢٢.
(٢) م.ن.

– وعن الأعمال الصالحة التي عملناها
– سنجزى جزاء طيبا
– ولن ينال احد عقابا
– وعلى قدر أعمالنا سيكون الجزاء "[١]

والمتتبع لهذه القصيدة التي جرى ذكر مقطوعة منها يجد أن الشعر الموريسكي – على الرغم من احتفاظه بالرسم العربي – يكاد يخلوا من اثر للعربية. وهذا يعني أنَّ تلك الفترة؛ أي ما بعد منتصف القرن الخامس عشر الميلادي فصاعدا تلاشت العربية تقريبا؛ نظرا لانحطاط الثقافة، أو بسبب الخوف من التكلم بالعربية. والأرجح أن تلاشيها جاء بسبب التجهيل والقمع؛ فغابت معرفة الناس بها؛ على الأقل في نطاق الكتابة.

ونلحظ في غالب هذا الشعر نزعةً صوفية؛ تفتقر إلى العمق والى السعة، فضلا عن كون غالب ما نقرأه منه يعبر عن شعور بالانكسار، وعن حسٍّ مكبوت، ولوعة دفينة؛ إلى جانب شعور الاغتراب والسلبية؛ لذلك كثر الأشعار التي تتحدث عن يوم القيامة والحشر والذنوب والخطايا.

القصة الموريسكية:

ينحى بلنثيا في معالجته للقصص الموريسكي منحىً مقارنا؛ سواء على صعيد الموضوعات والمعاني، أو على صعيد النمط القصصي. وهذه المقارنات تأتي عرَضَا أحيانا، وعلى شكل إشارات وملاحظات يعقدها بين موضوعات هذا القصص وبين شبيهاته في الأدب الاندلسي السالف عليها، أو بينها وبين القصص أسباني الأصل؛ فضلا عن مقارنات لها مع القصص الوارد في الأساطير التوراتية أو في قصص المسلمين السالفة[٢].

وفي رأيه بلنثيا أن " القصة لدى الموريسكيين أعظم قيمة مِن شعرهم من الناحية الأدبية، وقصصهم تلك وانْ جاءت بلغة قشتالية قديمة؛ إلا أنها ذات أصل عربي في

(١) يمكن مراجعة القصيدة فيما نشره واعتمده بلنثيا ومنها ترجم إلى الأسبانية الحديثة معانيها:
Mariano De Pano y Ruta Las Coplas del Peregrio de puey Monson (Coleccion de Estudios Arabes, Vol I) Zaragoza 1890, 227 – 228.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي.. ص ٥٢٢.

الغالب، وأكثرها قصص ديني عن حياة الرُسل؛ وبالخصوص الرسول محمد ﷺ وصحبه الكرام.

ومن السمات الموضوعية لتلك القصص تواردُ العجائب في ثناياها، ومن ذلك مثلا الحكاية المسماة ((حديث موسى مع يعقوب الجزار)). El Alhadiz de Musa con Jacob el carniero والتي يرى فيها تشابها بينها وبين قصةٍ للكاتب الأسباني تيرسو مولينا، من دون أن يوضحَ لنا أوجهَ التلاقي والتشابه بين القصتين. ومن تلك القصص ما هو ذو صلة بقصص الأناجيل الزائفة الخاصة بحياة السيد المسيح من مثل القصة المسماة حديث الجمجمة "[١].

وفيما يلي نظرة على تحليلات بلَنثيا ونقوده لتلك القصص؛ والتي ستبدو في غالبها نقودا ذات طابع مقارني تاريخي، دون الإيغال في نقدها الداخلي أو التعليق على طابعها اللغوي والفني.

" فعندما تعرض هذه الأساطير لحياة النبي ﷺ تقص علينا الحكايات الخاصة بمولده الشريف وشبابه ومغازيه وأخبار صحابته الأولين، ومثال ذلك ((حديث قصر الذهب والثعبان)) و((حديث علي مع الأربعين فتاة)) و((حديث تميم المختطف من دينه)، والأخيرة قصة تدور حول تميم الداري؛ وهي تصف اختطاف الجن له ونقلهم إياه إلى مساكنهم، ثم تقص كيف عاد بعد ذلك إلى الدنيا. ومن ثم فإننا نجد هذه الرحلات تدور في عالم بين الحقيقة والأحلام، وما يتخلل ذلك من رؤى صوفية يراها بطل القصة في نومه. وذلك كله يجعل من هذه السياحات أقرب إلى الغرابة منها إلى الخيال، لكنها– في آخر الأمر– غنية من ناحية الابتكار، مما يذكرنا بأقاصيص ألف ليلة وليلة.

وموضوع إحدى قصص هذه المجموعة ((حكاية مدينة النحاس والقماقم)) التي تناقلها الموريسكيون ذات إطار فنتازي أخلاقي، تحكي قصة الناسك الذي أرادت المقادير أن يقضي الليل مع امرأة في غرفة واحدة، فجعل كلما همَّت بها نفسُه يمد أصبعه إلى نار شمعةٍ لتلذعها تذكيرا بعذاب جهنم[٢].

وهناك أساطير واضحة المعالم مثل (يوسف وزليخة)، وهي سلسلة من الحكايات متميزة بعضها عن بعض، وكذلك قصتا((حديث ذي القرنين)) و((حديث الملك الاسكندر)) فهما ترويان حياة الاسكندر كما تصوره الأساطير الشائعة عند المسلمين.

(١) م. ن. ٥٢٤.

(٢) تاريخ الفكر الاندلسي.. ص ٥٢٢.

والاسكندر في هذه الأسطورة لا يقنع بأقل من ربط خيله ببرج الثور، وإلقاء سلاحَه على الثريا، وليس من هدف لغزواته إلا نشر [الإسلام] دين الله وتحريق الأصنام والقضاء على عبّادها "(١).

وهذا الخيال الخصب – وبعيدا عن قيمته الأدبية والجمالية – يعكس لاشك مدى التخلف والجهل والانعزال الذي مر به المورسيكيون بحيث غابت عنهم أكثر الحقائق التاريخية وضوحا.

ونجد في هذه الأسطورة الغرائب نفسها التي تحكيها أساطير الإغريق عن الاسكندر: شعوب غريبة يلقاها في مسيره... أناس لهم عين واحدة... أناس لهم رؤوس كلاب، وآخرون لهم آذان يستظلون بها، وصنوف غريبة من الطير والحيوان وأسرار وفضائل أودعها الله في المعادن و الأحجار، هذا كله نجد مثيله في هذه الأسطورة المورسيكية العجيبة(٢).

أما قصص الفروسية فكل ما قدمه بلَنثيا عنها فاسطر معدودة يذكر فيها: " حكاية (المقداد و الميّاسة) التي يبدؤها مؤلفها بقوله: هذا هو حديث المقداد السيد مع الميّاسة ابنة عمه الملك جابر أبي ضرار كما رواها ابن عباس. ولقد تخطت هذه القصص حدود أسبانيا فنرى لمَحاتٍ منها في أقاصيص پروفنسية مثل **بارس وفيانا**. وربما كانت قصة (المقداد) قد ترجمت إلى البروفنسية عن ترجمة قطلونية لأصلها القشتالي على يد موريسكي أرغوني"(٣). وهذا كل ما يذكره بلَنثيا.

إن تعليقات بلَنثيا على تلك القصص هي في الغالب تعليقات موضوعية تاريخية؛ ومنهجه في دراسة هذه القصص الوصفُ العام لموضوعاتها، مع محاولة سريعة لإشارات مقارنية بينها وبين أعمال وقصص لمؤلفين أسبان سبقوها، أو كانوا لاحقين عليها، لكنه على الحقيقة يكتفي بإيراد آراءه هذه من دون إجراء دراسة مخصصة لها؛ يثبت فيها آراءه وتصوراته.

ولعل السبب في هذا انشغاله في كتابة تاريخ الفكر الاندلسي الواسع. ولذلك قال أغناطيوس كراتشكوفسكي – كما مر سابقا – أن كتاب بلنثيا " رغم جنوحه إلى الاختصار إلا أنه يعطي – من حيث الوفرة العلمية – مستندا مأمونا لجميع المراحل ؛

(١) م. ن.
(٢) م.ن. ٥٢٤ – ٥٢٩.
(٣) تاريخ الفكر الاندلسي.. ص ٥٢٢.

نظرا لترفعه عن الأحكام العاطفية وابتعاده عن الإسهاب المخِل، والوقوع تحت تأثير النزعات الرومانسية؛ كذلك الحال الذي نجده فيما كتبه كل من شاك ودوزي"[١]

الملخـــص :

تتلخص فكرة البحث بموضوعِ الكشف عن قضيةٍ مهمَّة تتعلق بجانب من تراثٍ ناله التجاهل والتغييب؛ على الرغم من أهميته التاريخية؛ فهو يعبر عن أحد معالم التراث الأندلسي كان له عطاء أدبي وثقافي، على الرغم مما لحق بأصحابه من اعتداء وظلم كبيرين، على يد الأسبان الذي استظلوا بحضارتهم وبجهود علمائهم قرونا.

ويسلط البحثُ الضوءَ على التعريف بشعب كان له امتداد ثقافي وحضاري مع لغة العرب وحضارتهم، ونعني بهم الموريسيك الذين تمَّ إجلاؤهم؛ سواء من غرناطة ثم قشتالة أولا؛ أو إجلائهم الشامل عن بلاد الأندلس.

ويكشفُ البحثُ عن حياة المستشرق **بلنثيا** أحد كبار المستشرقين الأسبان، مع عرض لنتاجاته الاستشراقية في عموم التراث الاندلسي؛ وتركيز على إسهاماته ونقوده في الأدب الموريسكي على الخصوص.

ولقد استخلص البحث جملة نتائج أهمها:

– ريادة المستشرق الأسباني بِلَنثيا في هذا المجال ومعرفته الببلوغرافيّة بذلك التراث؛ مع الإشارات إلى المؤثرات والأشخاص الذين أخذ عنهم، فأغنوا معرفته؛ وعلى رأسهم المستشرق آسين بلاثيوس.

– حيادية منهج بِلَنثيا وقدرته على التحليل الأدبي؛ لاسيما في مجالَي الشعر والقصة الموريسكية؛ فـ بلنثيا امتلك حسًّا نقديا امتاز بالدقة وبالشمول والتنوع؛ لكنه مع ذلك افتقر إلى السعة والقدرة على التفاعل مع لغة الموريسيك؛ بسبب ما استحدثوه من نمط معقَّد في الكتابة. لكنه – على الرغم من ذلك كله – يعرفنا بذلك الأدب وبمراحله التاريخية وبموضوعاته ومستوياته الفنية.

(١) دراسات في تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق.

– ومن خلال تسليط الضوء على جهوده في هذا المجال تتبين أهمية الكشف عن ذلك التراث، وضرورة العناية به من لدن الباحثين؛ لأنه موضوع يعبِّر عن مفاصل تاريخية حضارية خطيرة.

– يشكل منهج بِلَنثيا وإصراره على الاستقصاء بحياديه حافزا للباحثين على استكشاف المزيد من ذلك التراث وخفاياه؛ مستعينين بما أنجزه هو؛ أو أشار إليه في بحوثه المختلفة.

– ويبين البحث أن إسهام المستشرق بلنثيا في دراسة الأدب الموريسكي؛ يعد ريادةً وخصوصية لها قيمتها الأكاديمية والحضارية، خصوصا وأن التعامل مع ذلك الاستشراق كان قد لاقى عناية أقل مما يستحق، مع أن الأسبان يمتلكون كمًّا من المعلومات والمصادر والدوافع لدراسة ذلك التراث الخصيب. ولقد أسهم بلنثيا في دفع عجلة الاستشراق الأسباني الأكاديمي إلى أمام، وفتح أفقا كثيرة بما كتبه من كتب وما قدمه من أبحاث متفرقة ومحاضرات.

أما نحن العرب والمسلمين فكانت عنايتنا بالاستشراق الأسباني أدنى من عنايتنا بالاستشراق الإنكليزي أو الفرنسي، مع أن التراث الاندلسي عامة والتراث الموريسكي يشكِّل امتدادا لثقافتنا وهويتنا الحضارية؛ لذلك لن تنضبَ دوافعُ تناول ذلك التراث اكتشافا ونشرا وتحليلا؛ لاسيما ونحن نتفاعل مع مستشرقي أسبانيا الذين بدأوا طورا ايجابيا واهتماما مغايرا في التعامل مع ذلك التراث؛ وعلى أسس جديدة؛ غادرت نسبيا عقدة التوجه الديني والعرقي.

The view of Spanish orientalist: Angel Palancia About Moriscos heritage

Asst Prof: Dr. Faris A. Al Mudaris

Abstract

This paper deal firstly with vary important issue in Islamic heritage, which was neglected by western scholars, I mean the tradition of Moriscos, and it also shades light on problem of Moriscos people and there suffering under Spanish rule.

Secondly it tacks with the life and the work of once of the most prominent Spanish orientalist “ Angel Palencia” whose books and important works made him one of leading figures in Spanish Orientalism.

In addition to that paper studies Palancia’s method in analyzing and explaining Moriscos’s poetry and tales.

Lastly the paper concentrates on importance of Spanish Orientalism in concerning with the Islamic culture, religion and history.